الفصل الثامن

الإخلاء والإنقاذ والإغاثة في حالات الكوارث

من الإجراءات الواجب اتخاذها في حالات الكوارث، القيام بعمليات إخلاء سكان المناطق المتضررة وإيوائهم. وقد تختلف عمليات الإخلاء والإيواء باختلاف المكان والزمان الذي تتم فيه، وحجم الكارثة ونوعها.. ولكي تكون عملية الإخلاء والإيواء ناجحة، لا بد من انتهاج أسلوب التخطيط والتنظيم اللازميْن لذلك، وعَمَل التجارب الافتراضية قبل وقوع الكارثة، مع مراعاة أن تكون قريبة -ما أمكن- من الواقع؛ لأن ذلك يساعد على كشْف مدى الاستعداد وكفاءة الجهات المشاركة، وأن تكون واضحة ومفهومة لدى جميع المشاركين، فضلًا عن مرونة هذه الخطة؛ لتكون قابلة للتغيير والتعديل عندما يتطلب الموقف ذلك.

وقبل وقوع أي كارثة، لا بد من وجود تجهيزات محددة لعمليات الإنقاذ، والتأكد من إعداد فرق متكاملة للإنقاذ مجهزة بالمعدات والاحتياجات (سيارات الإسعاف والإنقاذ المزودة بالمعدات المُناسبة من معدات الحفر والبحث والآلات والرافعات)، وأن يكون أفراد الإنقاذ مجهزين بالملابس المخصصة لهم، والأدوات التي يستخدمونها، إضافة إلى تدريبهم المسبق على طرق إنقاذ المصابين، والوصول إلى مكان الكارثة، واستعمال وسائل التقنيات الحديثة.

ولكي تتم عملية الإغاثة الغذائية والإيوائية خصوصًا بالسرعة المطلوبة، لا بد من عمل بعض الإجراءات الواجب تنفيذها في الأوقات العادية قبل وقوع الكوارث وفي أحوال السلم، منها: إنشاء بنك مركزي للمعلومات، تجهيز مُستودعات كبيرة بالمواد الغذائية الجافة والمعلبة الصالحة للتخزين مدة طويلة، إضافة إلى توفير أماكن الإيواء المجهزة والخدمات الطبية بالقرب من هذه الأماكن، وتُوزَّع هذه الخطط على جميع الجهات ذات العلاقة بالإغاثة، وتحديد دور كل منها بدقة.

أولًا: مفهوم الإخلاء والإيواء وأهدافهما:

الإخلاء: نقْل الأشخاص المتضررين أو المهددين بالخطر إلى أقرب أماكن آمنة، وبعيدة عن الأخطار، مع رعاية هؤلاء الأشخاص، وتوفير سُبُل الحياة الضرورية لهم، سواء كان الإخلاء اختياريًّا أو إجباريًّا، وسواء كان مصدر الخطر للمناطق التي يتم إخلاؤها ترجع إلى ظروف الحرب، كتعرُّضها للقصف الجوي أو غيره من العمليات العسكرية، أو احتمال تعرُّضها لأخطار الكوارث الطبيعية كالسيول، والفيضانات والزلازل... إلخ، أو الأخطار الصناعية مثل الحرائق أو الانفجارات أو تسرب الغازات... إلخ، وذلك وفق خطط مُعدة مُسبقًا لهذه الأغراض.

الإيواء: إيواء المتضررين أو المحتمل تضرُّرهم في أماكن آمنة، تتوافر بها جميع المستلزمات الضرورية لاستمرار الحياة لحين عودتهم إلى أماكنهم الأصلية -إنْ أمكن ذلك- بعد السماح لهم، وبعد عودة الأوضاع إلى حالتها الطبيعية، ويجب أن تتمتع أماكن الإيواء بالشروط والمواصفات التالية (قدر المستطاع):

- أن تكون جُغرافية أرض الموقع وطبيعته مُناسبة من حيث: ارتفاع مَنسوبها عن مَنسوب الفيضانات المحتملة، أن يكون سطحُ الأرض منحدرًا بدرجة مُناسبة لضمان التصريف الصحي، وأن يكون قريبًا من مواقع الخدمات الأساسية كالطرق ومصادر المياه والطاقة والمستودعات الغذائية والمستشفيات، وأن يكون اختيار الموقع بمساحة كافية، وأن يتم تصميمُه بدقة واهتمام كبيريْن، مع الأخذ في الحسبان عدم الازدحام، الذي يؤدي غالبًا إلى مشكلات إدارية وصحية وتنظيمية، وأن تكون تربة الموقع مسامية، وأن يكون المناخُ المحلي ملائمًا، وأن تكون المنطقة خالية من الأمراض والحشرات، مع عدم احتمالية تعرُّضها للرياح الشديدة.
- كما ينبغي بناء مجمعات لمراكز الإدارة والخدمات، مع محاولة تجنُّب المركزية في ذلك، وأن تكون الطرق إلى مراكز الإيواء سهلة، وأن يتم بناء خزان رئيس للمياه ووضعه في مكان مرتفع؛ لضمان الضغط الذاتي، مع ضرورة إبعاده عن مصادر التلوث، كما يجب الأخذ في الحسبان الإجراءات الوقائية؛ لمنع نشوب الحرائق والحد من انتشارها.

◄ **أهداف الإخلاء والإيواء:**

◁ حماية الأرواح في المقام الأول من الأخطار المختلفة (طبيعية، صناعية، حربية،.. إلخ).

◁ المحافظة على الثروات الوطنية والمُمتلكات بنقلها بعيدًا عن مصادر الخطر، سواء كانت (اقتصادية، حيوانية، علمية، تاريخية.... إلخ).

◁ ضمان الاستقرار الاجتماعي والنفسي والصحي والأُسري للنازحين، وذلك عن طريق إيواء (المُتضررين)، مع توفير جميع أساليب الحماية والسلامة والأمن.

ثانيًا: أهمية الإخلاء والإيواء:

تتمثّل أهمية الإخلاء والإيواء في المحافظة على الأرواح والممتلكات الخاصة والعامة من أخطار الكوارث المختلفة، ويمكن تقسيم أهمية الإخلاء والإيواء إلى الأقسام التالية:

◄ **الأهمية الاجتماعية:**

◁ جمْع شمل الأُسر المُشتتة.

◁ توثيق العلاقات بين جميع أفراد المجتمع من مُتضررين وغير مُتضررين.

◁ التعاون والتكاتف بين الجهات ذات العلاقة وتضافُر جهودها.

◁ الإسهام في الدراسة والبحث في مجال الأعمال الاجتماعية.

◁ توفير الأجواء الآمنة لممارسة الحياة العادية.

◁ تقديم الخدمات الاجتماعية الترفيهية للمُتضررين.

◄ **الأهمية النفسية:**

◁ مُعالجة الآثار النفسية والعصبية والتوتر الذي تتركه الكارثة على المُتضررين.

- تخفيف الضغطين النفسي والعصبي الهائلين على الناجين مما تُخلفه الكارثة من آثارٍ نفسية سيئة.
- المُساندة النفسية التي يقدمها الإخصائيون لرفع الروح المعنوية.
- إجراء الاختبارات النفسية للمُتضررين؛ لتحديد نوعية ودرجات التأثيرات المختلفة على المُتضررين والناجين من الكارثة.
- توفير الأمان النفسي المؤدي إلى الراحة النفسية، وعدم التفكير والقلق.
- تقديم جميع الخدمات النفسية المختلفة من (كوادر متخصصة، عيادة مناسبة، علاقات مناسبة،....إلخ).

◄ الأهمية الاقتصادية:

- المُحافظة على الأرواح.
- المُحافظة على الممتلكات.
- المُحافظة على الثروات.
- توفير كل الاحتياجات المطلوبة لعمليات الإخلاء والإيواء.
- تحقيق الاستخدام الأمثل لجميع الخدمات المختلفة.
- توفير كل الاحتياجات المطلوبة لعمليات الإخلاء والإيواء.

ثالثًا: مراحل الإخلاء والإيواء والأدوار المرتبطة بها:

يُمكن تقسيم مراحل الإخلاء والإيواء إلى ثلاث مراحل رئيسة، ولكل مرحلة مُتطلباتها، وهي:

◄ مرحلة ما قبل الإخلاء (مرحلة الاستعداد):

- إجراء الدراسات العلمية اللازمة؛ لتحديد الأخطار المختلفة، مُتضمنةً (احتمال حدوثها، الأماكن التي يُمكن أن تحدث بها، توقعات الخسائر الناجمة عنها، درجة قوتها).

- القيام بتوعية وإرشاد السكان والمسؤولين على اختلاف مستوياتهم بما يجب عملُه واتباعُه من تعليمات في أثناء عملية الإخلاء والإيواء.
- إعداد خطط طوارئ شاملة للإخلاء والإيواء بجميع متطلباتها.
- الإشراف على وضع النُّظم والقوانين المختلفة الخاصة بعملية الإخلاء والإيواء لجميع المنشآت المختلفة، وما يجب أن يتوافر بها من تجهيزات وشروطٍ ووسائل السلامة والرعاية.
- تدريب العاملين في مجال الكوارث (الإخلاء والإيواء) وجميع الأجهزة المعنية المُشاركة في العمليات، ومن ثم توعية السكان على كيفية مواجهة الكوارث بالبرامج التوعوية في الإذاعة أو التليفزيون أو المناسبات العامة ووسائل التواصل الاجتماعي.
- تحديد مواقع مُعسكرات الإيواء مُسبقًا داخل المُدن أو خارجها أو على أطرافها؛ لاستخدامها عند الضرورة، مع التأكد من مطابقة تلك المواقع لشروط مُعسكرات الإيواء ومعاييرها للمُتضررين.
- تحديد جميع الجهات الحكومية وغير الحكومية المُشاركة في عمليات الإخلاء والإيواء، ودور كل جهة منعًا للاجتهادات العشوائية.
- عَمَل التجارب الافتراضية دوريًّا؛ للتأكد من جاهزية الجهات المشاركة.

◀ **(مرحلة وقوع الكارثة):**

- بدء تنفيذ عمليات الإخلاء والإيواء وفق الخُطط الموضوعة مُسبقًا.
- تحديد الإجراءات والاحتياطات اللازمة للمحافظة على الأرواح.
- تسخير الإمكانات اللازمة لتنفيذ عمليات الإخلاء والإيواء، وتحقيق الأهداف المرجوة من دون تأخير.

- توفير مُستلزمات الإخلاء والإيواء المختلفة وتجهيزاتها ووسائطها.
- تحديد الطرق المُستخدمة لعملية الإخلاء، مع تعزيزها بالدوريات الأمنية.
- مُراعاة الأولوية في عمليات الإخلاء، وفي تقديم المُساعدات والإسعافات للمُتضررين.
- تحديد المستشفيات المُعَدة لاستقبال المُتضررين.
- الإشراف على مراحل تنفيذ خطط الإخلاء، والتأكد من الالتزام بتنفيذها في الوقت المُحدد لها.
- تحقيق التنسيق والتعاون الكامل بين الجهات المشاركة في تنفيذ الإخلاء والإيواء.

◄ مرحلة ما بعد الكارثة:

- إيواء المُتضررين في أماكن الإيواء بعد نقْلهم من موقع الكارثة.
- توفير العلاج والإسعافات الصحية اللازمة لهم.
- توفير الأمن والحراسات اللازمة على مواقع الإيواء.
- التأكد من توافر كل متطلبات النازحين من مأكل ومشرب، إلى جانب متطلبات السكن المؤقت الأخرى.
- إجراء تقييم شامل لخطة الإخلاء والإيواء بالتنسيق مع الأجهزة المعنية التي شاركت في التنفيذ.

رابعًا: العوامل التي تُعيق عمليات الإخلاء والإيواء:

توجد عوامل عديدة تعمل على إعاقة تنفيذ عمليات الإخلاء والإيواء أو فشله، وفيما يلي أبرز هذه العوامل، وهي:

- **الافتقار إلى تجهيزات الإخلاء والإيواء ومُعداتهما:** حيث إن النقص في تلك التجهيزات والمعدات يؤدي إلى إيجاد عوائق ومشكلات تزيد من صعوبة عمليات الإخلاء والإيواء، ما يترتب على ذلك من نتائج وخيمة بالنسبة إلى المتضررين.

- **وسائل النقل:** تُعَد وسائل النقل عاملًا مهمًّا وضروريًّا، سواء لنقل العاملين المُشاركين في مواجهة الكوارث أو المتطوعين إلى موقع الكارثة، ونقل المُتضررين المراد إخلاؤهم وهو المحور الرئيس؛ إذْ إن نقْص وسائل النقل يحول دون إخلاء الأفراد المُهددين بالخطر، كما أنه يحول دون وصول فرق العمل، ولهذا فلا بد من توافر وسائل نقل كافية للتعامل مع الموقف بفاعلية وسرعة.

- **المواصلات والطرق:** يجبُ الأخذ في الحسبان التخطيط السليم والمناسب للطرق داخل المدن خصوصًا؛ حيث إن الازدحام وعرقلة انسياب الحركة المرورية لوسائل نقل المُتضررين وكذلك سيارات الطوارئ، يؤخر وصول الجهات المشاركة والمنفذة لعملية المواجهة، ما يترتب عليه تفاقُم الوضع للأسوأ من ناحية زيادة الأضرار، ومن ثَمَّ الخسائر المادية والبشرية.

- **الافتقار إلى وسائل الإسعاف:** نظرًا للأهمية التي تمثّلها خدمة تقديم الإسعافات للمُتضررين في موقع الكارثة، أو في أثناء نقل المُتضررين في سيارات الإسعاف المختلفة خُصوصًا للمصابين، وضرورة توافر مثل هذه الخدمة، فإن قلة هذه الوسائل تعمل على تأخير وصول المصابين إلى المراكز العلاجية من ناحية، إضافة إلى عدم القدرة على تقديم الإسعافات الأولية في الموقع من ناحية أخرى.

- **العُمر والجنس والحالة الصحية:** فئة الأطفال وكبار السن والمُعاقين والنساء والحوامل؛ حيث إن هؤلاء قد يعانون عمومًا بطء الحركة، ما يؤخر عملية الإخلاء، رغم أهمية أن تكون لهم الأولوية في ذلك.

خامسًا: أهمية التخطيط لإنجاح عمليات الإخلاء والإيواء:

تبدو أهمية التخطيط في كونه النهج العلمي الذي يحدد صورة العمل الفاعل، لمواجهة ما قد يتعرض له المجتمعُ من أزمات وكوارث، وما يرغب المجتمعُ في تحقيقه من تقدُّم ونُمو وازدهار.

وغياب التخطيط يعني الفوضى، فتتم الأعمال ارتجالًا، وتُصبح الأفعال والتصرفات عشوائية، فينتُج عنها: تخبُّط في الجهد، انحراف في المسارات، انعدام في الضوابط، وهذا ما يُشكل خطورة كبيرة؛ حيث النتيجة الفشل. وتكمُن أهمية التخطيط في عمليات الإخلاء والإيواء في النقاط التالية:

- وضْع تصوُّر لعمليتي الإخلاء والإيواء.
- تحديد أهداف واضحة للعمل وكيفية تنفيذه.
- تحديد مراحل الإخلاء والإيواء وخطواتهما.
- يُحدد المواقع المناسبة لإيواء المتضررين بحسب عددهم وتقاليدهم المختلفة.
- يُحدد الطرق المناسبة لعمليات الإخلاء، وكذلك التجهيزات والمعدات اللازم استخدامها.
- يُحدد أفضل أنواع الإخلاء المختلفة وكذلك مدة الإخلاء.
- يُحقق الرقابة والمتابعة.
- يُحقق الأمن النفسي للأفراد والجماعات.
- يُساعد على التنسيق بين الجهات المشاركة والتكامل بين خدماتها.

سادسًا: دور المُتطوعين في عمليات الإخلاء والإيواء:

تزداد قدرة وكفاءة الأجهزة الرسمية المعنية بمجابهة الكوارث اتساعًا متى استطاعت أن تستقطب وتستوعب جهود المجموعات التطوعية، وتجعلها امتدادًا إيجابيًّا منسقًا مع أنشطتها؛ حيث إن أبرز سمات المجموعات التطوعية أنها لا تقوم على نُظُم

هيكلية محددة، ولا تخضع لإجراءات تنظيمية مُقيدة، وتحظى بدرجة عالية من المرونة، ويمكن أن تتم الاستعانة بالمتطوعين في وظائف متعددة، من أبرزها:

- المُساعدة على تقدير الأضرار التي تعرضت لها المنطقة، بما يُمكن أن يُقدمه من معلومات للأجهزة الرسمية المعنية عن الضحايا والجرحى والمفقودين، والأسر التي فقدت مأواها... إلخ.
- مُساعدة المُتضررين بتوجيههم إلى المنافذ والطرق الصحيحة.
- المُساعدة على عمليات الإخلاء والإيواء، وتقديم الخدمات الاجتماعية اللازمة.
- المُشاركة في إدارة أماكن الإيواء وتجهيزها.
- مُراقبة المرافق المهمة والمنشآت الحيوية والأحياء السكنية من الأخطار التي قد تُهددها.
- تقديم المساعدات الغذائية والكساء والفرش وغيرها للمتضررين.
- تتولى المرأة دور رعاية الطفولة والأمومة في مراكز الإيواء واستقبال النازحات.

سابعًا: الأخطار الصحية في أثناء عمليات الإخلاء والإيواء:

إن العوامل الصحية وأخطار انتشار الأوبئة المختلفة في أثناء الكوارث عمومًا، وفي عمليات الإخلاء والإيواء خصوصًا، حيثُ إن هناك مشكلات مصاحبة للكوارث، وفيما يلي أبرزها:

- صحة البيئة للمكان الموجود فيه معسكرات الإيواء.
- الإسكان السيئ والتغذية غير الصحيحة.
- نقص الأدوية المناسبة أو عدم توافرها.
- وجودُ المُتضررين في مجموعات كبيرة يساعد على انتشار الأوبئة والأمراض بسرعة.
- سوء الصرف الصحي في معسكرات الإيواء.

- إخلاء المُتضررين من مناطق بيئية إلى مناطق أخرى ذات بيئة مختلفة، يزيد من احتمال الإصابة بالأمراض.
- انتشار الحشرات الناقلة للأمراض، وعدم وجود طرق لمكافحتها، يؤدي إلى تفشي بعض الأمراض.

ثامنًا: الآثار المختلفة لعمليات الإخلاء والإيواء:

◀ **الآثار السكانية:**

◁ الكوارث قد تُجبر قطاعات كبيرة من السكان على النزوح غير المنظم، الذي يُعرضهم لمزيد من الأخطار.

◁ رغبة بعض السكان في البقاء مدة قصيرة في المؤسسات الاجتماعية الإيوائية أو مُعسكرات النازحين أو اللاجئين، ولكنهم سُرعان ما يفكرون في العودة إلى ديارهم أو الهجرة إلى مناطق أخرى.

◁ نتيجة للكوارث قد تتغير التركيبة السكانية، بحسب الفئات العمرية والنوع والانتماءات العرقية والدينية والثقافية.

◀ **الآثار الاقتصادية:**

◁ تختلفُ الآثار باختلاف نمط المعيشة، فالإيواء في المناطق الحضرية يختلف عن الإيواء في المناطق المفتوحة.

◁ الخلل الذي يُصيب البنية الاقتصادية يؤثر في العلاقات التكاملية بين القطاعات الإنتاجية وقطاع الخدمات الاجتماعية والعامة.

◁ النزوح يؤدي إلى انخفاض دخْل الفرد، وزيادة نسبة البطالة والفقر.

◁ الكوارث التي تُدمِّر البنية الأساسية، قد تُؤدي أيضًا إلى ارتفاع أسعار السلع والبضائع وأجور المواصلات والاتصالات والخدمات الصحية والاجتماعية.

◀ **الآثار الاجتماعية:**

◁ اتسام سُلوك المتضررين بالاستعداد لمزيد من التضحية والتفاني من أجل مُساعدة الآخرين.

◁ ظُهور قيادات جديدة واختفاء أخرى نتيجة الكارثة.

◁ الإحساس بمزيد من الانتماء إلى المجتمع وقضاياه، سواء من قِبَل الأفراد أو الجماعات أو الأُسَر.

◁ زيادة معدلات جرائم السرقات والسلب والنهب والعنف والعدوان.

◁ حدوث تغيرات جوهرية في أنماط المعيشة الأسرية ومقدرة الأسرة على المُحافظة على الضبط الاجتماعي بين أفرادها.

تاسعًا: أهمية فرق البحث والإنقاذ في الكوارث:

تُعَد فِرَق البحث والإنقاذ المؤهلة والمدربة في حالات الكوارث من أهم الفرق العاملة في موقع الحادث؛ لأنها ترتبط مباشرة بإنقاذ حياة أشخاص قد يتعرضون للموت إذا لم تُقدم لهم المساعدة اللازمة، آخذين في الحسبان أنه كُلما تأخَّر وقت تنفيذ عمليات الإنقاذ، زاد احتمال ارتفاع عدد الوفيات إلى حد يُصبح معه العثورُ على أحياء أمرًا غير متوقع.

وبناءً على ما تَقدَّم، تتم عمليات الإنقاذ عبر المراحل التالية:

◁ **الأولى:** تبدأ عقب الوصول إلى مكان الحادث (الكارثة)، والقيام بأعمال الإنقاذ والإسعافات الأولية للإصابات الظاهرة، بينما يقوم فريقٌ آخر باستطلاع المنطقة وجمْع المعلومات؛ للحصول على صورة واضحة عن طبيعة الدمار.

◁ **الثانية:** التفتيش داخل المباني، التي لم يلحق بها تدمير كبير، عن أي أشخاص مُحتجزين أو فاقدي الوعي أو أصحاب الجروح البليغة أو الاختناق من الغازات.

◁ **الثالثة:** تفتيش جميع الأماكن التي يُمكن أن يُحتجز فيها أشخاصٌ. ومثال ذلك، الأدوار الأرضية، الفتحات بين الطوابق، مخابئ الغارات الجوية.

◁ **الرابعة:** مُحاولة إزالة الأنقاض واستخراج المحتجزين تحتها أو الجثث للتعرف عليهم.

عاشرًا: تشكيل فِرَق الإنقاذ وواجباتها:

تُعَد فِرَق الإنقاذ المؤهلة والمدربة في حالات الطوارئ، من أهم الفرق العاملة في موقع الكارثة؛ لأنها ترتبط مباشرة بإنقاذ مُصابين قد يموتون إذا لم تُقدم لهم المساعدة اللازمة في الوقت المناسب، علمًا بأنه كلما تأخَّرت عمليات الإنقاذ، زادت أعداد الوفيات.

إن مهمة فِرَق الإنقاذ محفوفة بأخطار عديدة، تبعًا للظروف غير الطبيعية التي تصاحب حدوث الكوارث. وتُعَد عمليات البحث والإنقاذ في الدفاع المدني من الأعمال والواجبات الرئيسة، ما يتطلب استمرار التدريب المكثف لهم، والتركيز على تشكيل مثل هذه الفرق حتى تكون دائمًا جاهزة للعمل والتدخل فور وقوع أي حالة طارئة أو كارثة، وفقًا لخطة مدروسة مبنية على أُسُس علمية، يتم تنفيذها اعتمادًا على تجهيزات محددة وتمارين عملية وتطبيقية صحيحة ومدروسة.

⊙ **تُشكَّل فِرَق الإنقاذ بحسب ظروف كل دولة، وقد تكون من الدفاع المدني، ويجب أن تكون موزعة على كل المناطق، وأن التشكيل الأمثل هو تشكيل الفرق اعتمادًا على العناصر الآتية:**

- كثافة السكان.
- نوع المباني.
- درجة التعرض للخطر.

كما أن للإنقاذ أنواعًا مختلفة، منها: إنقاذ ضعيف (بسيط) يتعلق بحمل الأشخاص بالأيدي ورفع الأنقاض الخفيفة والقيام بالإسعافات الأولية، إنقاذ ثقيل مثل

رفع الأنقاض الثقيلة وإنزال مُصابين من الطوابق العليا، والقيام بعمليات البحث. وتتألف هذه الفِرَق من عدد من رجال الإنقاذ.. وتُعَد هذه الفرق من أوائل المجموعات التي تصل إلى موقع الحادث؛ حيث تقوم باستكشاف الموقع، والتعرف على طبيعة الأخطار المتوقعة، وعدد المُصابين والضحايا والمُحاصرين، وعَمَلُها يُوفر الوقت والجهد والسلامة. وحتى تستطيع هذه الفرق تأمين سلامتها، لا بد من توافر معدات وقاية شخصية لأفرادها، مثل: القُفازات وخوذ الرأس ومعاطف (جاكيتات) وأحذية الإنقاذ، وملابس للحماية، إلى جانب كشافات وحقيبة إسعاف وصفارة لإمكانية إعطاء إشارة بواسطتها، إضافة إلى بعض مُعدات الإنقاذ مثل: طفايات يدوية، معدات بأوزان مختلفة، سلالم خفيفة، سكين جيب، معدات قطع يدوية وهيدروليكية، حبال ولوازمها، مقصات يدوية مختلفة؛ إذْ إن المُنقذ هو الشخص الأهم في موقع الحادث، فيجب أن يكون مُجهزًا تجهيزًا مناسبًا لكل الظروف.

⊙ **الواجبات العامة للإنقاذ:**

- إنقاذ المُصابين والمُحتجزين داخل الأنقاض، تقديم الإسعافات الأولية لهم، نقلهم إلى المراكز العلاجية.
- تدعيم الأبنية الآيلة للسقوط أو نسفها لتفادي خطر الانهيار.
- إنقاذ المواد المخزنة والأدوية ومواد التموين.
- العمل على تأمين الإصلاحات الضرورية لتيسير الخدمات العامة.
- فتْح الأنفاق والمخابئ؛ للوصول إلى المحتجزين في الداخل.
- استعمال مُعدات الإنقاذ لعمليات الإطفاء والإسعاف.
- إزالة الأنقاض والعقبات من الشوارع.

إستراتيجية التدخل لفِرَق الإنقاذ في الكوارث

تعتمد مُواجهة الأخطار على وضع إستراتيجية تشمل عناصر وأُسُس مواجهتها. وعلى أجهزة الحماية المدنية والجهات المعنية الإعداد والتخطيط الجيد لمواجهة جميع أنواع الكوارث أو الحوادث؛ لحماية الأرواح والمُمتلكات والثروات، وتخفيف حدتها، وإزالة آثارها، وهذه العناصر تتمثّل في الآتي:

- **تحديد الأخطار:**

يرتبط النشاط العام لفِرَق الإنقاذ وفقًا لطبيعة الأخطار؛ تحسبًا لوقوعها، سواء كانت حوادث طارئة أو متوقعة، أو تتسم بها المنطقة. وعليه، فمن الضروري إجراء الاستعدادات اللازمة، سواء كانت كوارث أو أخطارًا طبيعية، ودراستها من جميع الأوجه والاحتمالات.

- **العنصر المادي (التجهيزات والمُعدات):**

توفير التجهيزات والسيارات والمُعدات التي تتناسب مع الأخطار المُحتملة وطبيعتها وأماكن ونطاق وقوعها، ومنها توفير سيارات وسلالم الإطفاء والإنقاذ وتجهيزات ومُعدات الإنقاذ من المباني المُرتفعة أو المُنهارة أو التي تستخدم في التعامل مع حوادث الطرق ووسائل النقل والمواصلات وتجهيزات الإنقاذ النهري والبحري.

- **العُنصر البشري:**

من مُنطلق أهمية هذا الواجب، يجب تعزيز منظومة الإنقاذ بالكفاءات البشرية اللازمة من كوادر جميع الفئات والتخصصات، بما يتناسب مع حجم الكارثة وطبيعتها، والتأكيد على أهمية وجود المعدات اللازمة وفرق تشغيلها، وبما يضمن الاستفادة منها في مُواجهة هذه الأخطار، وذلك من خلال المراحل التالية:

- **الانتقاء:**

من حيث القُدرات الذهنية والبدنية، ومدى توافر الشجاعة والإقدام والإخلاص، والثقة بالنفس.

- **التصنيف:**

وهو المستويات الوظيفية؛ حيث يبدأ المستوى الأول بالأفراد، وينتهي التصنيف بالمستوى القيادي.

- **التدريب:**

نظرًا لأهمية التدريب بوصفه أحد عناصر القيادة والسيطرة لمواجهة الكوارث أو الحوادث، يُعَد أحد أضلاع منظومة المواجهة، التي تتمثّل عناصرها الأساسية

في توفير التجهيزات والمعدات والعناصر البشرية، وتدريب هؤلاء الأفراد على ما تم توفيره من معدات وتجهيزات، فإذا ما توافر العُنصر المادي (تجهيزات ومعدات) والعُنصر البشري (الأفراد)، فإنه لاستكمال منظومة الأداء لا بد من تدريب هؤلاء الأفراد على استخدام هذه المعدات والتجهيزات بواسطة التخطيط الجيد، ووضع برامج التدريب الشاملة؛ للتأكد من أن الفرق والمعدات ستؤدي عملها بكفاءة، بحيث تكون الفِرَق قادرة على مواجهة الكوارث، وتحقيق النتائج المرجوة.

والإنقاذ عمل يتضمن تخليص الأشخاص المحاصرين أو المُحتجزين في أماكن يصعب خُروجهم منها أو الوصول إليهم بالطرق العادية، وعليه فلا بد من القيام بتلك العمليات بواسطة أفراد مُدربين على أعمال الإنقاذ المختلفة باستخدام التقنيات العالية والمعدات الحديثة، وإبعادهم عن أماكن الخطر، كما أنه يجب أن يكون مع هذه الفرق مَن لديه الدراية التامة بعمليات الإسعافات الأولية.

- **الأجهزة التي تتعاون مع فِرَق الإنقاذ في مكان الكارثة:**

- **قوات الشرطة والأمن:**

تتمثّل في فِرَق من قوات الشرطة والأمن، وواجبها هو حفظ الأمن في موقع الحدث، وعدم السماح بدخول غير المعينين إلى مكان العمليات خشية إصابتهم، أو لتفادي حدوث عمليات النهب والسرقة، أو تدخُّل المتطفلين في عمل رجال الإنقاذ، ما يُعيق عمل الجهات المختصة.

- **خدمة الإطفاء:**

في حالة اشتعال حرائق نتيجة الكارثة أو الحادث، تتدخل خدمة الإطفاء بمكان الحادث.

- **خدمة الإسعاف:**

لتقديم الإسعافات الأولية اللازمة للمصابين، ونقلهم إلى مراكز العلاج القريبة، والتوجيه بنقل جُثث الموتى من موقع الكارثة.

- **المستشارون المحليون:**

وهم الناجون من الحادث، ويُمكنهم إمداد فريق الإنقاذ بالمعلومات اللازمة لمعرفة عدد الأشخاص المُحتجزين نتيجة الكارثة، وأي معلومات أخرى قد تساعد فِرَق الإنقاذ.

- **خدمة المرور:**

لتغيير اتجاهات السير وتحويلها عن موقع الحدث، وتسهيل دخول السيارات المستخدمة في العمليات وخروجها؛ لضمان سرعة إنجاز الأعمال.

- **الإدارات الهندسية التابعة للمنطقة:**

لتقديم المعدات الثقيلة (أوناش- حفارات-.. إلخ)، وتشكيل فِرَق لإصلاح المرافق الحيوية.

- **شركات الكهرباء، الغاز، المياه:**

شركة الكهرباء لفصل التيار الكهربائي عن المنطقة المنكوبة؛ لتأمين عمليات الإنقاذ. وشركة الغاز لمنع أي تسرُّب للغاز؛ خشية حدوث انفجارات أو حريق أو اختناق للمُحاصرين على أقل التقديرات. وشركة المياه؛ لإيقاف أي تسرُّب قد يؤثر في أعمال الإنقاذ.

- **القوات المسلحة:**

وتُشارك القوات المسلحة في الكوارث الكبرى حين يُطلَب منها ذلك، أو بتعليمات من القيادة العُليا للقوات المسلحة، ببعض القوات المُدربة على عمليات الإنقاذ المختلفة؛ وذلك لمساعدة الفرق الأخرى.

الأخطار والصعوبات التي تواجه فِرَق الإنقاذ

قد تتعرض فرق البحث والإنقاذ في أثناء عملها إلى أخطار وصعوبات؛ كونها من أولى المجموعات التي تصل إلى موقع الكارثة، وتعمل في ظروف غير واضحة المعالم والأبعاد، وفيما يلي أبرز هذه الأخطار والصعوبات:

⊙ **الأخطار العلوية:**

- سقوط الأشياء المعلقة، مثل أعمدة الكهرباء والإنارة... إلخ.
- سقوط الحوائط أو الأسقف.
- سقوط بعض المباني بكاملها.
- تماس الأسلاك الكهربائية التي يمكن أن تُسبِّب أضرارًا خطيرة.

⊙ **الأخطار الأرضية:**

- وجود الأجسام الحادة على الأرض (زجاج- مسامير- قضبان حديدية- أنقاض-..... إلخ).
- السطوح الملساء، التي يمكن أن تتسبّب في سقوط الأشخاص نتيجة الانزلاق.
- تجميع المياه السطحية؛ نتيجة كسر أنابيب المياه التي يمكن أن تُعرِّض رجال الإنقاذ إلى (خطر وجود تماس كهربائي- التلوث-.... إلخ).
- الجو الملوث في المناطق المحصورة؛ نتيجة تسرُّب غاز أو دخان.
- انهيار المبنى أو المباني المجاورة.
- التعرض لردة فعل الأشخاص المعرضين للخطر نتيجة هول الكارثة.

أهمية التقنيات الحديثة في مجال الإنقاذ

التقنيات الحديثة وسُبُل استخدامها لا ترتبطان فقط بالكوارث الطبيعية، ولكن أيضًا بالكوارث التي من صُنْع الإنسان؛ حيث أصبحت تُحدِث صدى واسعًا في الفترة الأخيرة، ولها انعكاسات اجتماعية متعددة على كل قطاعات المجتمع، إضافة إلى ما تُخلِّفه من دمار في بعض الحالات، ما يتطلب استعمال تقنيات حديثة متقدمة في مجال الإنقاذ.

وفي هذا السياق، طوَّرت عديد من الشركات تطبيقات للهواتف المحمولة؛ لتحذير مستخدمي الهواتف من الزلازل وموجات المد العاتية (تسونامي)، بالاستفادة من التكنولوجيا المستخدمة في الهواتف، وتطبيقات أخرى تُستخدَم في الدول أو الأماكن المعرضة للكوارث الطبيعية، وتسهم هذه التطبيقات في إنقاذ أرواح البشر في حال وقوع أي كارثة. وعلى سبيل المثال، التطبيقات (Disaster Alert, ICE standard, Next door, Zello).

كما قامت شركاتٌ بتطوير وتطويع إنسان آلي (روبوتات) تقوم بالمساعدة على أعمال الإنقاذ والإغاثة وعمليات البحث؛ وذلك للمساهمة في خفض معدلات الخطر التي يتعرض لها أفراد الإنقاذ، وتصميم طائرات صغيرة الحجم تصوِّر المناطق المنكوبة بنظام ثلاثي الأبعاد، إضافة إلى التقنيات الأخرى التي تطالعنا بها شركات التقنية باستمرار.

وللاستفادة من استخدام التقنيات الحديثة في مجال الإنقاذ يجب تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على التقنيات الحديثة المُستخدمة في مجال الإنقاذ في حالات الكوارث.
- التعرف على مُعدات التقنيات الحديثة، التي يُمكن استعمالها في هذا المجال؛ ما يوفر الجهد والوقت.
- تعرُّف رجال الإنقاذ العاملين في مجال إدارة الكوارث على أحدث الطرق العلمية والفنية في هذا المجال.
- التدريب المكثف والمستمر على استخدام التقنيات الحديثة.

وتنبُع أهمية التقنيات الحديثة من ضرورة التحضير والاستعداد لمجابهة أي كارثة قد تقع، ويتطلب هذا الأمر من الجهات المختصة الاهتمام بتوفيرها، والتدريب على استخدامها في جميع المناطق؛ للاستفادة منها في الحوادث غير التقليدية. ولقد وضع الخُبراء والمُختصون عددًا من العناصر الرئيسة، منها:

- وضْع قاعدة للمعلومات وتحديثها وتطويرها باستمرار، والتأكد من سهولة الوصول إليها بطريقة عملية وحديثة وقت الحاجة.
- القدرة على التعرف بالأجهزة الحديثة على مكان المُحاصرين والناجين وعددهم، وكذلك عدد مَن هم أكثر قربًا للإنقاذ والنجاة.
- القدرة على الاتصال مع المُحاصرين ورفع معنوياتهم، وإرسال إشارات تطمئنهم بقرب الإنقاذ والمقدرة على ذلك.
- الحصول على مصادر كافية بديلة في حالة انقطاع التيار الكهربائي، وأن تكون هذه المصادر ذات تقنيات عالية، ولها مقدرة على الاستمرار فترات طويلة.

- تجهيز معدات إلكترونية حديثة وإحضارها؛ للكشف عن الأحياء والمُحاصرين داخل المباني المنهارة، وكذلك الفنيين القادرين على استعمال تلك الأجهزة.
- تحسين وسائل المراقبة والرصد لكل التطورات التي تحدث في موقع الكارثة لحظة بلحظة من على بُعد، وذلك باستخدام التقنية الخاصة بذلك.
- تزويد رجال الإنقاذ بملابس تتضمن أجهزة لوقايتهم وحمايتهم من أي أخطار، على أن تكون ملابس خفيفة ومُريحة، ولها القدرة على الحماية من أي أخطار محتملة.
- الاعتماد على وسائل متقدمة غير بشرية، يمكن للعقل البشري أن يُطوِّعها ويُسخِّرها للقيام ببعض المهام، التي تكون فيها درجة الخطورة عالية.
- الاستفادة من التقنيات الحديثة عن بُعْد في تصوير المُحاصرين وإرسال صورهم ومعلومات عنهم إلى مركز المراقبة والعمليات، وهذه التقنية يمكن استعمالها عن طريق الاستفادة من الأقمار الاصطناعية التي أُرْسِلت إلى الفضاء.
- تفعيل دور طب الكوارث في مكان الحادث، في مجال فحص المصابين وتقدير الخطورة لكل حالة، والإسعاف بحسب الأسبقيات، وذلك بطرق غير تقليدية، وأن يتم ذلك بالسرعة المطلوبة.
- التعرف على ما ينقص التقنيات المتاحة، وكذلك الثغرات الفنية في التقنية وطرق استعمالها، وإكمال النقص بالمهارات البشرية للاستفادة القصوى منها في اللحظات الحرجة، فالمطلوب ألا يتعطل العقل البشري أمام التقنية.
- الحاجة للارتقاء بمهارات التقنية Technology Pull وذلك أكثر من دفع التقنية إلى الأمام ومحاولة إيجاد ما هو غير متاح Technology Push في حالات الإنقاذ والإخلاء، وهذا معناه أن يتم تطوير ما هو متاح من التقنية والارتقاء بمهارات استعمالها بعد التعرف على الاحتياجات الحقيقية للإنقاذ والإخلاء.
- اختيار المعدات ذات التقنية العالية في الإنقاذ أولًا قبل الوصول إلى مكان الكارثة وتجربتها مسبقًا.

- تتطلب عملياتُ الإنقاذ في بيئة ملوثة بغبار أسلحة الدمار الشامل وجودَ أجهزة كاملة من المُعدات والتجهيزات والملابس للحماية والعمل في تلك الظروف، وهذه المنظومة المتكاملة يجب أن تشمل معدات إلكترونية راقية Sophisticated؛ حيث إن ذلك يعطي القدرة على الاستجابة والتحرك والعمل في بيئة ملوثة بأسلحة الدمار الشامل، وهذه المُعدات من شأنها الارتقاء بمهارات أفراد فريق الإنقاذ.

❑ **تقسيم فريق الإنقاذ إلى فِرَق صغيرة بحسب التخصص، ومنها:**

◁ فريق البحث: Search Team ومهمته تحديد مكان الضحايا المُحاصرين، أو الأماكن الخطرة الأخرى.

◁ فريق الإنقاذ: Rescue Team مسؤول أولًا عن تقييم الوضع في الأماكن الخطرة، وأن تكون لديه أجهزة التنصت والرصد والمتابعة، وكذلك الحفر وسط الركام وانتشال المصابين.

◁ فريق المواد الخطرة: Hazardous Material Team ومهمته القيام بمسح المواقع البيئية المختلفة، ورصد المواد الخطرة ومُتابعتها في مكان الكارثة، وكذلك تقدير الاحتياجات لمواجهة هذه الأخطار.

◁ الفريق الطبي: Medical Team ويتكون من أطباء إخصائيين وجراحين وعموميين، وفريق طبي مساعد ومُختص في الكوارث.

◁ الفريق اللوجستي: Logistic Team ومهامه تكون في الأمور اللوجستية، وكذلك الاتصالات والمساندة، وهو يعمل بوصفه فريق اتصال مع الوكالات الأخرى.

◁ فريق التخطيط: Planning Team مسؤول عن وضْع خطة الإنقاذ وتطويرها، وعليه تقييم الموقف وسير العملية، والتقدم بنصائح هندسية للعملية، وكذلك توفير المعلومات المُناسبة لسير العملية.

◁ القيادة: Leadership المسؤولة عن إدارة العملية بأكملها طوال عملية الإنقاذ والإخلاء، وكذلك مهمة الإدارة والتنسيق وحشد الإمكانات وتنسيق الجهود مع كل الجهات المختصة بالمُساعدة في العملية.

متابعة سلوكيات فِرَق الإنقاذ وأخلاقياتهم

عند مباشرة فِرَق الإنقاذ والطوارئ، يجب ضرورة التركيز على سلوكياتهم وأخلاقهم ومتابعة ذلك باستمرار، ضمن خطة عمل إدارة الكارثة، بما يكفل السلوك المناسب والأخلاق الحميدة في العمل في خضم فوضى الكارثة.

وهنا يتطلب رقابة ومُتابعة مع التركيز على النقاط التالية:

- التأكد من هوية العاملين في الإنقاذ والمُتطوعين القادمين ومؤهلاتهم، ومتابعة أسلوب عملهم من قِبَل مُشرفين وخبراء معروفين للإدارة.
- الحرص على ألَّا تتم عمليات سرقة أو احتيال ونصب من قِبَل فِرَق الإنقاذ والمُتطوعين.
- العمل ضمن برامج محددة تسمح بالكشف عن أي خلل في سلوك العاملين.
- استبعاد كل مَن تظهر عليه سلوكيات سلبية أو أخلاقية غير مناسبة، وردعهم ومُحاسبتهم إذا تَطلَّب الأمر ذلك.
- إظهار السيطرة والحزم والقوة والتنظيم يُخفف من المشكلات التي قد تبرُز بين الضحايا والمنكوبين وبين العاملين في فِرَق الإنقاذ.

وليس من الحكمة أن تفترض إدارة الكوارث حُسْن النية والأخلاق الطيبة والسلوك الإيجابي لدى الجميع، فتفاجأ بالسلبيات والأخلاق المختلفة المذكورة، ولذلك يجب أن تكون ضمن الخطط والترتيبات احتياطات خاصة لكل ما سبق.

المبادئ الأساسية لعمليات الاستجابة في مجال الإغاثة

لتؤدي الاستجابة للكوارث الإنسانية والطبيعية دورها المأمول، عمدت التنظيمات والوكالات الإنسانية الدولية، وعلى رأسها حركتا الصليب والهلال الأحمر الدوليتان المعنيتان بشؤون الإغاثة والمساعدات الإنسانية، إلى ضرورة استحداث إطار أولي عام،

يحكم العملية الإغاثية في العالم، ويتم من خلاله عرض أهم المبادئ الأساسية للعمل الإنساني، الذي تم التعارف عليه من خلال (**مدونة السلوك الإنساني**)، التي تلتفت إلى جملة المبادئ التي تحكم عملية الاستجابة في ميدان المساعدة والحماية الإنسانيتين الدوليتين، ولعل **من أبرز تلك المبادئ الأساسية التالي:**

- **مبدأ الضرورة الإنسانية:**

يستند هذا المبدأ إلى أن الحق في تلقي المساعدة الإنسانية ومنحها مبدأ إنساني يجب أن يتمتع به الإنسان في جميع البلدان، ووفقًا لما تقر به الدول الأعضاء في المجتمع الدولي، من ضرورة الالتفات إلى واجب تقديم المساعدة الإنسانية متى كان الحاجة إليها.

ويتمثّل الباعث الأول للاستجابة لحالات الكوارث في تخفيف المعاناة الإنسانية بين صفوف أولئك الأقل قدرة على تحمُّل ما تُسبِّبه الكوارث من ضغوط ومعاناة.

- **مبدأ منح المساعدة الإنسانية دون تمييز:**

أي أن تقوم مساعدات الإغاثة الإنسانية استنادًا إلى توافر التقييم الشامل لاحتياجات ضحايا الكوارث والقدرات المحلية القائمة بالفعل للوفاء بتلك الاحتياجات، وبحيثُ تعكس المعونات المقدمة مدى المعاناة التي تهدف إلى تخفيفها، على أن تتسم السياسات العامة المطبقة بالعالمية وعدم التحيز والاستقلال، وتوفير مساعدات الإغاثة العادلة، والوصول إلى جميع ضحايا الكوارث على قدم المساواة.

- **مبدأ الحيادية في استخدام المعونات:**

ويتم وفقًا لهذا المبدأ منْح المعونة الإنسانية، وفقًا لاحتياجات الأفراد والأسر والمجتمعات، وعدم ربط الوعد بالمعونة أو تقديمها أو توزيعها بتبني عقائد سياسية أو دينية معينة، أو التحيز إلى مواقف سياسية أو دينية.

- **مبدأ احترام ثقافات الشعوب وأعراقها:**

أي أن تراعي مُنظمات الإغاثة ووكالاتها خصوصية الشعوب الثقافية والعرقية في إطار عملها.

- **مبدأ بناء الاستجابة للكوارث وفق القدرات المحلية:**

حيثُ لا يتأتى تطبيق هذا المبدأ في الواقع العملي إلا بتقوية قدرات العاملين المحليين، وشراء المواد المحلية، والتعاون التجاري والاقتصادي مع الشركات المحلية، والشراكة مع الوكالات الإنسانية غير الحكومية المحلية كشركاء في التخطيط والتنفيذ.

ويتعين أن يشمل هذا التنسيق ممثلين عن هيئات الأمم المتحدة المعنية.

- **مبدأ السعي إلى الحد من الهشاشة المستقبلية:**

أي أن أعمال الإغاثة التي تتميز بالفاعلية والكفاءة هي تلك التي تؤدي إلى أدنى حد من الأثر السلبي للمساعدات الإغاثية الإنسانية، في محاولة تجنُّب الاعتماد طويل المدى للمستفيدين على المعونة الخارجية.

أنواع الإغاثة الرئيسة

نظرًا للاختلاف والتباين في أنواع الكوارث، ما ينتج عنه أنواع مختلفة من مواد الإغاثة المطلوبة، وإن كانت غالبًا تتم جميعًا في آن واحد، وذلك اعتمادًا على نوع الكارثة وشدتها والآثار الناتجة عنها.. **ومن أنواع الإغاثة الرئيسة ما يلي:**

- **الإغاثة الغذائية:**

وتتعلق أساسًا بتقديم المواد الغذائية المختلفة التي يحتاجها المنكوبون، وحصر المواد الغذائية الأساسية الواجب توفيرها عند وقوع الكارثة، وإعداد (السيناريوهات) والتمرينات والتدريبات على كيفية تقديمها بعد وقوع الكارثة، ويشمل ذلك ماء الشرب أيضًا.

- **الإغاثة الصحية:**

تتعلق بتقديم جميع الخدمات الصحية اللازمة عند وقوع الكارثة، من تشكيل فِرَق عَمَل طبية ميدانية متكاملة، رفع درجة الاستعداد لدى المستشفيات العامة والخاصة والمراكز الطبية المختلفة، تنظيم مشاركة المتطوعين للإسهام في العون الطبي.

⊙ **الإغاثة الإيوائية:**

تتعلق بتأمين المساكن البديلة للنازحين من موقع الكارثة، سواء بإقامة المخيمات أو تأمين الأبنية للإقامة المؤقتة، كأبنية المدارس والمعاهد والجامعات ودور العبادة، وبعض الأبنية الحكومية وأبنية الجمعيات الخيرية، مع تقديم الأسِرّة والأغطية اللازمة للنوم، إضافة إلى الملابس ولوازم الأطفال... إلخ.

⊙ **الإغاثة المادية:**

وهي المتعلقة أساسًا بتقديم مساعدات نقدية للمُتضررين، أو تعويضات لهم عن الخسائر التي تعرضوا لها بسبب الكارثة، إضافة إلى تقديم المواد والمبيدات الحشرية والعلاجات الزراعية عند التعرض لكارثة تؤثر في المُزارعين ومحاصيلهم.

⊙ **إغاثة أجهزة الحماية المدنية:**

وهذه تتعلق بالإجراءات والمُساعدات التي يقدمها الدفاع المدني للإنقاذ وإطفاء الحرائق والإسعاف، وكذلك المُساعدات التي تقدمها أجهزة الجيش والشرطة والأمن العام والأجهزة الأمنية الأخرى، من حفظ النظام ومنع السلب والنهب والمحافظة على الممتلكات العامة والخاصة، إضافة إلى إسهامها في تقديم المواد المختلفة اللازمة للإغاثة.

⊙ **الإغاثة النفسية:**

وقد يأتي هذا النوع من الإغاثة في مرحلة متأخرة نسبيًّا من وقوع الكارثة. وتتعلق الإغاثة النفسية بمعالجة الآثار النفسية والعصبية، والتوتر الذي تتركه الكارثة على كثير من المتعرضين لها أو الناجين منها، ويتطلب ذلك جهودًا كبيرة وطويلة للمعالجة، من قِبَل خبراء ومختصين في العلاج النفسي وفي العلوم الاجتماعية ذات العلاقة.

والجدير بالذكر إضافة إلى ما سبق من أنواع الإغاثة، فإن هناك أنواعًا أخرى من الإغاثة لا تقل أهمية عما تم ذِكْره، مثل: تقديم خدمات النقل والتزويد

والإنارة وفتح الطرق وإقامة السدود الصغيرة وفتح القنوات وإيصال خطوط المياه والهاتف وإقامة الحواجز المائية، وتنظيم لجان العمل والمتطوعين والتركيز الإعلامي على الكارثة وإقامة الندوات والمحاضرات وورش العمل المختلفة.

التحضير للإغاثة

ولكي تتم عملية الإغاثة الغذائية والإيوائية خصوصًا بالسرعة المطلوبة، لا بد من اتخاذ بعض الإجراءات الواجب تنفيذها في الأوقات العادية قبل وقوع الكوارث، وفي الأحوال العادية، وهي:

- إنشاء بنك معلومات مركزي: يتضمن جميع المعلومات الضرورية التي يمكن احتياجها عند إعداد خطط مواجهة الكوارث، أو عند تنفيذ تلك الخطط على مستوى الدولة عمومًا والمنطقة خصوصًا، وذلك كعدد السكان في كل محافظة وتجمُّع سكاني تابع لها، وعدد المستشفيات والمراكز الصحية والمدارس والجمعيات الخيرية والهيئات التطوعية ومراكز الإيواء والآليات ومواقعها، إضافة إلى الخرائط التوضيحية المُبين عليها الطرق الرئيسة والفرعية والطبيعية الجغرافية لكل منطقة... إلخ.
- تجهيز مُستودعات كبيرة: في مراكز المحافظات والمناطق بالمواد الغذائية الجافة والمُعلبة والصالحة للتخزين مدة طويلة، وتفقُّدها باستمرار، واستهلاك المواد التي يقرُب موعد انتهائها، وتزويد المستودعات بالكميات البديلة أولًا بأول، إضافة إلى تأمين كميات كبيرة من الخيام والأغطية في هذه المُستودعات.
- إعداد الخطط المُختلفة لمواجهة الكوارث: وذلك من قِبَل خُبراء ومُختصين من القطاعات المُختلفة، وتوزيع هذه الخطط على جميع الجهات ذات العلاقة بالإغاثة، وتحديد دور كل جهة بدقة.
- تحديد السيارات ووسائط النقل والمواصلات المختلفة اللازمة للإغاثة وتجهيزها: وهذا العمل يجب تنفيذه خصوصًا عند توقُّع حدوث الكارثة: (كالأعاصير، والفيضانات، والزلازل، والحروب، وغيرها).

- حصر وتحديد المُساعدات الممكن تقديمها من الجمعيات الخيرية العاملة: في الدولة، سواء الأهلية أو الأجنبية، والتنسيق الدائم معها؛ لتقديم المساعدات من مواد غذائية وخيام وبطاطين وسيارات، وكذلك استخدام أبنيتها مراكزَ للإيواء عند الحاجة.

خطوات الإغاثة

- **تقدير الموقف:** بمعنى دراسة أبعاد الكارثة وانعكاساتها المختلفة على مستوى الدولة، وتقييم ما لدى الدولة من إمكانات، وكذلك الموقف الإقليمي والدولي، وتحديد الجهات التي يُمكن الاستعانة بها لأغراض الإغاثة، وذلك بسرعة فائقة في الساعات الأولى من وقوع الكارثة.
- **التنبؤ بمسار الأحداث:** بمعنى توقُّع أكثر الاحتمالات التي يمكن أن تحدث؛ كي يتم في ضوئها اتخاذ الخطوات اللاحقة أولًا بأول.
- **دراسة الخطط:** حيث يتم استخراج الخطط المعدة مُسبقًا ودراستها وتقييمها، وبيان مدى صلاحيتها للموقف، وإجراء التعديلات اللازمة عليها بناء على المعلومات المتاحة لتصحيح المسار في أسرع وقت ممكن، ثم دراسة الأولويات في معالجة الموقف.
- **التنفيذ:** بدء عملية تنفيذ الخطة بما أمكن من المرونة، وذلك تحسبًا للمتغيرات المتوقعة، مع ضرورة تزويد فريق إدارة الكارثة وفريق الإغاثة بالمعلومات المُستجدة، التي تمكنها من سرعة التقدير والتصرف في الوقت المناسب واتخاذ القرار المناسب بالسرعة الممكنة.

أعمال الإغاثة الإنسانية في النزاعات المسلحة

تُعد النزاعات المسلحة أحد الأسباب الرئيسة للكوارث الإنسانية، التي قد ينتُج عنها عجْز أطراف النزاع المسلح عن توفير السلع والخدمات الأساسية، ومن ثم تَدهوُر الأحوال المعيشية، وحرمان المدنيين من الضروريات الأساسية للحياة.

ومع مُجريات النزاع المسلح، فإن أطراف النزاع قد لا يستطيعون توفير المؤن الأساسية للسكان، ومن ثم فإنه لا سبيل للحفاظ على حياة السكان وصحتهم وكرامتهم، إلا من خلال أعمال الإغاثة الإنسانية، التي تقدمها الدول والمُنظمات.

ويُقصد بأعمال الإغاثة الإنسانية في وقت النزاعات المسلحة: المُساعدات الخارجية ذات الطابع الإنساني المُحايد وغير التمييزي، التي تُقدمها دولة أو منظمة إنسانية عند وقوع نزاع مسلح، أدى إلى عجز طرف في النزاع عن توفير المؤن الأساسية اللازمة للحفاظ على حياة المدنيين وصحتهم وكرامتهم.

وتتضمن أعمال الإغاثة الإنسانية المُوجهة للمدنيين في النزاعات المسلحة أمورًا عدة، تتعلق بالطلب والعرض والدخول والمرور والتوزيع والتنسيق، وقد وضعت اتفاقيات جنيف -والبروتوكولان المكملان لها- تنظيمًا قانونيًّا لهذه الأمور، وهو ما سيتم استعراضه.

وبنهاية الحرب العالمية الثانية، أيقنت الدول بضرورة وضع اتفاقية دولية للحد من الآثار المدمرة للحروب، وفي عام ١٩٤٩ تم وضع اتفاقيات جنيف الأربع، التي نصَّت على مفاهيم عديدة، كحماية المدنيين الذين تتعرض مناطقهم للحرب من خلال وسائل عديدة، من بينها تقديم أعمال الإغاثة الإنسانية للمدنيين الذين يعيشون في مناطق النزاع، ويعانون انعدام المؤن الإنسانية التي لا تستطيع دولتهم توفيرها لهم.

وإذا كانت القواعد الأولى لأعمال الإغاثة قد ظهرت عام ١٩٤٩، فإن هذه القواعد تم استكمالها عام ١٩٧٧ بصدور البروتوكول الإضافي الأول، المتعلق بحماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية، والبروتوكول الإضافي الثاني، المتعلق بحماية ضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية، اللذين نصَّا أيضًا على إغاثة السكان المدنيين في أثناء النزاعات المسلحة.

وفي إطار اتفاقيات جنيف وبروتوكوليها المُكملَيْن لها، يُقصد بأعمال الإغاثة الإنسانية في وقت النزاعات المسلحة: المُساعدات الخارجية ذات الطابع الإنساني والمحايد وغير التمييزى، التي تُقدمها دولة أو منظمة إنسانية عند وقوع نزاع مسلح، أدى إلى عجز طرف في النزاع عن توفير المؤن الأساسية اللازمة للحفاظ على حياة المدنيين وصحتهم وكرامتهم.

وبناء على هذا التعريف، فإنه يُشترط للقيام بأعمال الإغاثة الإنسانية في أثناء النزاعات المسلحة وجود ما يلي:

- وقوع نزاع مسلح (دولي أو داخلي).
- مُعاناة السكان المدنيين الذين يعيشون في منطقة النزاع من انعدام المؤن الأساسية الضرورية أو نقصها، ما يهدد حياتهم وصحتهم.
- عدم قدرة طرف النزاع، الذي يحيا المدنيون تحت سيطرته، على توفير هذه المؤن.

❑ الأساس القانوني لأعمال الإغاثة الإنسانية:

تتأسس أعمال الإغاثة الإنسانية على إطار قانوني دولي لحقوق الإنسان، يتألف من إعلانات ومعاهدات محددة لحماية المتضررين من الكوارث الطبيعية والنزاعات، والقانون الدولي الإنساني.

وتجدر الإشارة إلى أن سريان القانون الدولي لحقوق الإنسان لا يتوقف في أثناء النزاعات المسلحة، وإنما يستمر في السريان، ويجب على الدول التقيد به ومراعاته؛ أي أنه في حالة النزاع المسلح، يُطبق القانون الدولي لحقوق الإنسان إلى جانب القانون الدولي الإنساني، وفي تحديد العلاقة بينهما، فإنه وفقًا لمبدأ التخصيص[1]، فإن قواعد القانون الدولي الإنساني هي قواعد تخصيص لقواعد القانون الدولي لحقوق الإنسان، التي تُعَد القواعد العامة، ولا شك أن استمرار سريان تطبيق القانون الدولي لحقوق الإنسان وقت النزاع المسلح يُشكل ضمانة مهمة لحماية المدنيين، ولا سيما تلك التي لا يشملها القانون الدولي الإنساني عن تنظيم بعض الحقوق.

❑ القانون الدولي لحقوق الإنسان:

الفرع الأول من القانون الدولي المرتبط بالمساعدات الإنسانية هو قانون حقوق الإنسان الدولي، الذي يتضمن أيضًا قانون اللاجئين الدولي، ويطبق هذا الفرع من القانون

---

(١) يُعَد مبدأ «التخصيص» أو مبدأ «القاعدة الخاصة تُقدم على القاعدة العامة» من المبادئ القانونية المُعترف بها في القوانين الوطنية والدولية، وتعطى الأولوية للنصوص الخاصة التى تكون أكثر فاعلية عن النصوص العامة.

في أوقات السلم والحرب، وبناء عليه تتأسس أعمال الإغاثة الإنسانية على الحق في الحياة، والحق في الصحة، والحق في احترام الكرامة الإنسانية.

❑ الحق في الحياة:

الحق في الحياة حَقٌّ مقدس، وهو أساس جميع حقوق الإنسان؛ إذ إنه دون حياة لن يكون لباقي الحقوق أي معنى، وكذلك نَصَّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه «لكل فرد حق في الحياة»، ونَصَّ العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على أن «الحق في الحياة حق ملازم لكل إنسان، وعلى القانون أن يحمي هذا الحق، ولا يجوز حرمان أحد من حياته تعسفًا».

والحق في الحياة أساس الحق في تلقي المساعدات والإغاثة؛ وذلك لأنه عند نقص المواد الأساسية وعجز الدولة عن توفيرها، لا يمكن احترام حق المدنيين في الحياة إلا من خلال السماح بأعمال الإغاثة الإنسانية.

❑ الحق في الصحة:

الحق في الصحة حق أساسي من حقوق الإنسان، وهو حق ضروري، ولازم للتمتع بحقوق الإنسان الأخرى، ويرتبط الحق في الصحة أيضًا ارتباطًا وثيقًا بحقوق الإنسان الأخرى: كالحق في الحياة والكرامة الإنسانية، والحق في الطعام، والحق في الماء.

ويقتضي ضمان الحق في الصحة ألا يُحال بين المدنيين والحصول على الأدوية والعلاج، وعلى ذلك في حالات كثيرة، تكون أعمال الإغاثة الإنسانية -بما تتضمنه من أدوية وأجهزة طبية وفرق العلاج الطبية- ضرورية ولازمة لاحترام الحق في الصحة.

❑ الحق في احترام الكرامة الإنسانية:

من حقوق الإنسان حقه في أن تُحترم كرامته في جميع الأحوال والأوقات، وقد نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أن «يُولد جميعُ الناس أحرارًا ومتساوين في الكرامة»،

ويقتضي الحق في احترام الكرامة ألا يوضع الإنسان في ظروف معيشية مُهينة، كأن لا يجد الملبس أو المأوى، ولذلك فإنه في هذه الظروف، تكون أعمال الإغاثة الإنسانية -بما تتضمنه من ملابس وأغطية وخيام- أساسية لاحترام الكرامة الإنسانية.

❑ القانون الإنساني الدولي:

الفرع الآخر من القانون الدولي الذي يُطبَّق على القائمين بالأعمال الإنسانية هو القانون الإنساني الدولي، وفي سياق آخر يُعرف بقوانين الحرب، ويُطبَّق هذا القانون في أوقات الصراع المسلح، وترتبط أعمال إغاثة المدنيين بالحماية المقررة من قِبَل القانون الدولي الإنساني للسكان المدنيين؛ وذلك لأن إغاثة المدنيين تُعَد واحدة من وسائل عدة لحماية المدنيين من قسوة النزاعات المسلحة، وقد تم النص على أعمال الإغاثة الإنسانية في اتفاقيات جنيف على النحو التالي:

- ◁ في حالة النزاعات المسلحة الدولية: فإنه يتعين على الدول أن تكفل حرية مرور أعمال الإغاثة الموجهة إلى السكان في المناطق المنكوبة.
- ◁ وفي حالة النزاعات المسلحة الداخلية: تنص المادة الثالثة المشتركة في اتفاقيات جنيف على أنه: في حالة قيام نزاع مسلح ليس له طابع في أراضي أحد الأطراف، يلتزم كل طرف في النزاع بأن يُطبِّق -كحد أدنى- الأحكام التالية:
  - الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية، بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا أسلحتهم، والأشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز أو لأي سبب آخر، يُعامَلون في جميع الأحوال معاملة إنسانية، دون أي تمييز ضار يقوم على العرق أو اللون، أو الدين أو المعتقد، أو الجنس، أو المولد أو الثروة أو أي معيار مماثل آخر.
  - حظر الاعتداء على الحياة والسلامة الجسدية، والتعذيب، والاعتداء على الكرامة الشخصية.
  - جمع الجرحى والمرضى والاعتناء بهم.

❑ متطلبات أعمال الإغاثة في النزاعات المسلحة:

تتطلب أعمال الإغاثة في النزاعات المسلحة ثلاثة أمور، جاء ذِكرها في البروتوكول الإضافي الثاني المتعلق بحماية ضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية: «تُبذل أعمال الغوث ذات الطابع الإنساني والحيادي، وغير القائمة على أي تمييز مجحف لمصلحة السكان المدنيين»؛ أي أنه يُتطلب في أعمال الإغاثة الإنسانية: الطابع الإنساني، الحياد، عدم التمييز، وهذه الأمور الثلاثة أكدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وتجدر الإشارة إلى أنه إذا لم تفِ أعمال الإغاثة الإنسانية بهذه المتطلبات، فإنه يمكن للدولة المعنية أن ترفضها، ولا تمنحها التصاريح اللازمة.

❑ الطابع الإنساني:

الغرض من أعمال الإغاثة غرض إنساني بحت؛ أي أنه لا يجوز أن يكون هناك أي غرض سياسي أو ديني، ورفع المعاناة الإنسانية عن المدنيين، الذين يُعانون نقص المؤن الأساسية.

❑ الحياد:

يجب ألا تنطوي أعمال الإغاثة على أي محاباة لأحد أطراف النزاع، وألا تتحول إلى وسيلة من وسائل القتال، وأن تُقدَّم الإغاثةُ للمدنيين فقط.

❑ عدم التمييز:

ينبغي ألا تنطوي أعمال الإغاثة الإنسانية على أي تمييز؛ أي يجب ألا يُستبعَد أحد من الاستفادة من هذه الأعمال، وألا يكون هناك أي تمييز بين المستفيدين على أساس ديني أو عرقي أو غيرهما.

وبناءً على ما سبق، نخلص إلى أن فرق الإخلاء والإنقاذ والإغاثة المُدرّبة تدريبًا نموذجيًّا خيرُ مُعين في أعمال الإغاثة؛ حيث إن اختيار فريق الإخلاء والإنقاذ والإغاثة

يتطلب أن يكون أفراده مُدربين تدريبًا عاليً،ا من حيث المهارة والقدرة على التدخل الناجح، الذي يتطلب: حُسن الإعداد الجسماني والعقلي، سلامة الحواس، الكفاءة العالية، رباطة الجأش، عدم القابلية للانفعال، أو التأثير النفسي أمام أي أزمة، الحرص الشديد عند القيام بتنفيذ مهام الإخلاء والإنقاذ، أن يتسم أفراد الفريق بصفات الولاء والانتماء للكيان مع التضحية بالذات إن لزم الأمر؛ حيث إن إدارة أي أزمة أو كارثة تحتاج إلى أفراد ذوي مواصفات خاصة، سواء من الناحية الشخصية أو العلمية، وأن يكون لديهم وعي وإحساس وطني، ويتم تدريب أعضاء الفريق تدريبًا جيدًا ومستمرًّا؛ لإكسابهم المعارف والمعلومات، وصقل مهاراتهم، وهي عملية دائمة حتى يكون الفريق جاهزًا ومستعدًّا للتعامل مع الأزمات والكوارث في أي لحظة. ويتم التدريب من خلال المحاضرات العلمية والتدريب العملي في ورش عمل مخصصة ومختبرات لمحاكاة سيناريوهات الأحداث للتدريب عليها. والمعروف أن أعمال الإغاثة الإنسانية هي الإعانات الخارجية العاجلة، التي تقدمها الدول والمنظمات الإنسانية للحفاظ على أرواح وصحة وكرامة المدنيين، الذين تنقصهم المؤن الأساسية بسبب نزاع مسلح. وتتأسس هذه الأعمال على القانون الدولي لحقوق الإنسان: الحق في الحياة، والحق في الصحة، والحق في احترام الكرامة الإنسانية، وعلى القانون الدولي الإنساني (النصوص المتعلقة بأعمال الإغاثة الواردة في اتفاقيات جنيف المُلزمة لجميع الدول)، ويتطلب في أعمال الإغاثة الإنسانية أن تكون ذات طابع إنساني، ومحايدة، وغير تمييزية.